ما جعل الكنيسة المبكرة تعطي بسخاء

تأليف: رايموند كلسي

عندما نلقي نظرة شاملة على الكنيسة المبكرة، نجد بعض الصفات العظيمة التي تترك فينا انطباعاً قوياً. نعجب بغيرة المسيحيين وبنموهم السريع، واخلاصهم لسيّدهم وتمسكهم بتعليم الرسل وميزات أخرى كثيرة.

من إحدى صفاتهم الأكثر روعة هي الكرم. لم يعطوا بتذمر ولا إلزام. لم يفرض عليهم، ولم يعطوا لكي يراهم الناس. نعلم انه لم يكن هناك دوافع أنانية في عطائهم، لأن كرمهم كان قد مُدِح بأسمى المفاهيم من قبل الكُتّاب الموحى إليهم. باع المسيحيون الذين كانوا في أورشليم ممتلكاتهم وأتوا بأثمانها لكي توزع على المحتاجين (أعمال ٤: ٣٤و ٣٥). تحدث بولس في وقت لاحق بتعابير رقيقة عن كرم أهل فيلبي وآخرون في مكدونية (فيلبي ٤: ١٤و ١٥؛ ٢ كور ٨: ١-٤). لا يوجد شك في سخاء المسيحيين في القرن الأول.

كان عطائهم واحد من اسباب نجاحاتهم الباهرة في مشاركة الإنجيل مع آخرين. تبشير العالم والاهتمام بالقديسين المحتاجين كانتا المهمتين اللتين أدتا إلى الاعطاء بالكرم، وحسنات المسيحيين جعلت تلك المهمات ممكنة.

لماذا كان المسيحيون كرماء هكذا في عطائهم؟ لماذا أراد الناس بيع ممتلكاتهم ليعطوا أثمانها؟ دراسة أسباب الكرم في القرن الأول ربما تساعد في تحديد السبب الذي لا يجعل الكنيسة تعطي في هذا القرن بمزيد من الكرم مما تعطيه الآن؟

أعطوا أنفسهم

أحد الأسباب الرئيسية لعطائهم يوجد في ٢ كور ٨: ٥ حيث يقول: «أعطوا أنفسهم أولاً للرب...» كانوا مهتدين باخلاص. عرفوا أن الاهتداء يعني اعطاء النفس، بكل كيانه وبكل ما يملك. لم يكن هؤلاء أعضاء الكنيسة اسمياً فقط، وإنما اقتناع شخصي. كان تصرفهم هو: «هأنذا يارب، أعطيك نفسي». عندما يهتدي الشخص بأمانة للرب، يكون التكريس بالممتلكات المادية شيء غير صعب. السبب الذي أدى إلى وجود كثير من البخلاء والطماعين اليوم هو انهم لم يعطوا انفسهم بالكامل لدعوة المسيح. نحن بحاجة إلى تعليم ان الاهتداء يشتمل على تكريس الوقت والمواهب والذات والممتلكات لله.

كانت لديهم خلفية الكرم

جاء المسيحيون الأولون من مجتمع باعث على الكرم. كانت كنيسة أورشليم تتكون من اليهود الذين كان تاريخهم هو تاريخ الكرم. أذكر العطايا التي أعطاها إسرائيل لخيمة الاجتماع وتقدماتهم عند تكريسها. وفكر في عطايا داود للهيكل، العطايا التي جاءوا بها لتجديد الهيكل والتبرعات لاعادة بناء الهيكل. هذه الأمثلة التي توجد في العهد القديم تجعل الكثيرين منا يشعرون بالخزي.

الاعشار والتقدمات والعطايا وذبائح اليهود تحت الديانة اليهودية هي معروفة جيداً. كانت التبرعات الكلية تشكل نسبة مئوية مقدرة من دخلهم. وعندما اعتنقوا المسيحية، كان من الطبيعي لهم ان يعطوا بسخاء. صحيح انه في المسيح كانوا أحرار ليقرروا بأنفسهم مقدار ما يعطوه؛ ولكنهم لم يستخدموا تلك الحرية كذريعة ليشتهوا ما لغيرهم. هل أعطوا أقل مما

اعتادوا اعطاءه؟

هناك حاجة زائدة لتعليم هذا الموضوع. يتحدث الكتاب المقدس أكثر عن هذا مما يتحدث عنه في المواضيع التي يوضع عليها التوكيد في الكنيسة. الاخفاق في تعليم الحق بوضوح وبفعالية لا ينتج خلفية جيدة للسخاء المسيحي.

كانوا يدركون مبدأ التوكيل

كان المسيحيون في القرن الأول يعترفون بمبدأ التوكيل. أدركوا ان ما لديهم لم يكن ملك لهم، وبانهم كانوا فقط وكلاء يعتنون بما يملكه شخص آخر. عرفوا انهم كانوا سيحاسبون عن الكيفية التي استخدموه بها؛ ولهذا طبعاً أرادوا أن يكونوا حريصين في طريقة استخدامها.

توجد نصوص كثيرة في الكتاب المقدس تظهر ملكية الله. على سبيل المثال، سفر الخروج ١٩: ٥ يقول: «لي كل الأرض». (ونصوص أخرى هي تثنية ١٠: ١٤؛ مزمور ٢٤: ١؛ ١ كور ١٠: ٢٦). هكذا أيضاً تم تعليم توكيل البشر. علينا أن نكون «وكلاء صالحين على نعمة الله المتنوعة» (١ بطرس ٤: ١٠). أصَرّ بولس أنه حتى أجسادنا ليست ملكنا (١ كور ٦: ١٩). عندما ندرك اننا نعتني فقط بما هو ملْكاً لشخص آخر، فبكل تأكيد نكون حريصين جداً عند استخدامه. سنعطي حساباً بما استخدمنا منه.

أعطوا كإستجابة لمحبة الله

كان التلاميذ الأولين يعطون بسخاء لأنهم عاشوا في ظل الصليب. كان بعضهم شهود عيان للأحداث التي وقعت في الجلجثة[١]. كانوا قد رأوا محبة الله وقمة العطية السخية[٢]. قد أدركوا ان الله «هكذا أحب» وكان عندهم البرهان، لأنهم رأوا كيف «بذل» (أنظر يوحنا ٣: ١٦). لقد أحبوا الله «لأنه هو أحبنا أولاً» (١ يوحنا ٤: ١٩)، لهذا لم يكن من الصعب عليهم ان يعطوا.

الخلاصة

نحن بعيدين عن أحداث الجلجثة ببضع قرون، ولكن ما حدث هناك لا يمكن للزمان ان يمحوه. أكبر سبب في عدم العطية بسخاء اليوم هو الاخفاق في تقدير معنى الصليب. هكذا أحبنا الله حتى بذل ابنه لأجلنا (أنظر يوحنا ٣: ١٦؛ أفسس ٥: ٢٥). ذكر ذلك يجعلنا نحب الله بكل قلوبنا نحو الله. وهذه المحبة تظهر نفسها في سخاء كما فعلت لنا محبة الله. ❖

---

[١] الجلجثة: الإسم العبري للمكان الذي صلب فيه يسوع المسيح، ويسمى بالعربية «جمجمة».

[٢] المسيح نفسه هو قمة عطية الله السخية.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧